المساواة بين الرجل والمرأة سؤال عربي مغلوط

سارة العبيدي: الصورة النمطية للمرأة في السينما مسؤولية جماعية

يُعتبر مهرجان سينما المرأة في سلا بالمغرب، من أبرز المهرجانات العربية والأفريقية المعنية بالإنتاج السينمائي الذي يعرض قضايا ومشكلات المرأة المعاصرة، ولذا فهو يمثّل فرصة لنقاش أهم القضايا التي تهمّ المرأة من خلال الفن السابع، أكثر الفنون تأثيرا في الواقع. وفي هذا الصدد كان هذا الحوار مع المخرجة والتشكيلية التونسية سارة العبيدي حول قضايا السينما والمرأة.

زكية عبدالنبي

سلا (المغرب) – اعتبرت المخرجة والتشكيلية التونسية سارة العبيدي أنّ الصورة النمطية للمرأة في السينما العربية ليست مسؤولية السينما فحسب، بل هي مسؤولية التنشئة الاجتماعية والعائلة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة.

وفي مقابلة معها على هامش الدورة 13 لمهرجان سينما المرأة في سلا الذي أسدل عليها الستار تقول العبيدي "كسر الصورة النمطية بالإضافة إلى كل هذا يحتاج إلى قرار سياسي".

وتتابع قائلة "السينما مرآة المجتمع. أظن أنّ التغيير منذ البداية يجب أن يكون من عُمق المجتمع حتى نغيّر هذه الصورة في السينما".

فيلم «بنزين»

حلّت تونس ضيف شرف هذه الدورة من المهرجان، وشاركت بعرض خمسة أفلام روائية طويلة، من بينها فيلم سارة العبيدي "بنزين"، الذي فاز بجائزة العمل الأول في مهرجان السينما التونسية في 2018.

> السينما مرآة للمجتمع لذا فالتغيير يجب أن يحدث بداية في عمق المجتمع حتى تنعكس صوره في السينما

وتقول العبيدي إن الفيلم الذي اعتبر أول فيلم روائي طويل لها بعد عدة أفلام قصيرة "كان نوعا من التحدّي على عدّة مستويات" مشيرة إلى أنه صُوّر في الجنوب التونسي "في منطقة لم يصوّر فيها سينمائيون من قبل، كما شارك فيه ممثّلون مبتدئون".

السينما هي الفن السابع أي أنها تضم جميع الفنون

أما على مستوى المضمون فهو يحكي عن الهجرة "التي تناولتها السينما العربية والعالمية بإسهاب، لكنني تناولت الظاهرة بطريقة مغايرة لما هو سائد، ليس من وجهة نظر الذين يغادرون بل الذين يبقون في أماكنهم ينتظرون".

وسارة العبيدي هي مخرجة تونسية درست الفنون التشكيلية في بلدها ثم سافرت إلى بلجيكا حيث درست السينما. ولها عدة أفلام قصيرة مثل "الموعد" وهو أول عمل روائي لها، و"آخر قاطرة". ويعدّ "بنزين" أول فيلم روائي طويل لها كتبت له السيناريو وأخرجته وأنتجه، وصوّره زوجها الراحل علي بن عبدالله الذي توفي قبل عرضه في القاعات.

تقول الفنانة إنّ زوجها كانت له خبرة كبيرة في المجال السينمائي. وأضافت "اشتغلنا بطريقة أكثر حرية. كنا نصوّر أفلاما بطريقتنا وتصوّرنا. نحن الاثنان شكّلنا فريق عمل متكامل".

وتضيف بحزن بالغ "حلمنا معا. وقمنا باختيار أماكن التصوير وفريق العمل وبذلنا كل الجهد، لكن لم يكتب له أن يرى الفيلم في القاعات مع الجمهور".

ويتحدث الفيلم عن حياة سالم وحليمة التي انقلبت رأسا على عقب، وهما يبحثان عن ابنهما المفقود الذي اختار الهجرة بطريقة غير شرعية نحو إيطاليا، بعد الإطاحة بنظام الرئيس الراحل زين العابدين بن علي في 14 يناير 2011.

الفن والمرأة

عن اختيارها أحداث الفيلم في الجنوب التونسي، حيث تعتبر سارة أيضا من منطقة الجنوب (قابس)، تقول إن ذلك جاء بطريقة "عفوية لم أتصوّر أحداث القصة في مدينة تونسية أخرى".

وتضيف "أعتبر هذه المنطقة من تونس جميلة جدا ليس من منظور فلكلوري تصويري كما هو الشأن بالنسبة للبطاقات البريدية، ولكنْ هناك نوع من الجمال الساحر المبهم".

تعتبر العبيدي أن قدومها إلى السينما من عالم الفنون التشكيلية "مكمل لمسارها السينمائي". وتقول "الفنون كلها تتقابل وتكمل بعضها البعض. بالنسبة إلي السينمائي مهم أن يعرف تاريخ الفنون المعاصرة والحديثة والموسيقى، لأن السينما هي الفن السابع بمعنى أنها تضم جميع الفنون".

وتضيف "دراستي للفنون ساعدتني كثيرا في رؤيتي الفنية والصورة التي التقطها وتشكيل الإطار ووضع الديكور والإكسسوارات وطريقة التصميم".

كما تعتبر المخرجة أن سؤال المساواة بين الرجل والمرأة في الحظوظ، وخاصة في المجال الفني، "سؤال مغلوط وتطرح فيه الإشكالية بطريقة خاطئة".

وتقول "المرأة في السينما العربية موجودة منذ البدايات كما هو الشأن بالنسبة للسينما المصرية". مضيفة "أنا كتونسية لا أرى نفسي في الحقيقة مختلفة عن الرجل، على الأقل في مجال السينما عندي نفس الحظوظ".

هل الرواية الجديدة جنس أدبي مشوّه؟

هيثم حسين
كاتب سوري

هل هناك تعريف مدرسي جامع للرواية الجديدة التي تبدو وكأنها جنس أدبي يفتقر للتعريف؟ هل يظهر بعض الروايات كجنس يتكئ على الأجناس الأدبية من دون أن ينتسب إليها؛ جنس يفتقر للتجنيس أساسا؟

لربما أمكن النظر إلى الرواية الجديدة على أنها جنس أدبي مشوّه، يتم دس كل ما يخطر على بال الكاتب فيها، سواء كانت أفكارا أو خيالات أو خواطر، وكلها تندرج في سياق السرد المفتوح، أو التداعي الحر الذي يتبدّى مقيّدا بالجهل بأدوات السرد وغارقا فيه.

يلعب التراكم المعرفي والأدبي والفني دورا كبيرا في بلورة الصيغ والأساليب بالنسبة للأدباء، بحيث أن التراكم يفترض إنتاجا لاحقا لافتا بعيدا عن الادعاء والجعجعة وافتعال الضجيج، وبعيدا عن الجهل بأسرار وألغاز الجنس الأدبي الذي يخوض غماره.

يلاحظ المتابع أنّ هناك استسهالا كبيرا في عالم الفن الروائي وتجرّؤا جليّا على اقتحامه من قبل بعض ممن يحاولون ترقيع جهلهم بتاريخ هذه الفن، ونسبه إلى تعاليهم على ما بات كلاسيكيا بنظرهم، وتحويرهم للحقائق لتتناسب مع ما يصدرونه من بضاعة، بذريعة التجديد والتثوير والابتكار.

لعل الحراك الذي خلقته الجوائز والمسابقات المخصصة للرواية ساهمت، عن حسن نية ورغبة بتقدير الفن الروائي وإيلاء الاعتبار الكبير له، بدور في زيادة التهافت على التقدّم والتخلّص من الأعمال وسلقها قبل إنضاجها على مهل، طمعا بالمبلغ المادي، وطموحا للشهرة المفترضة –وهذا من حقوق الكاتب الذي يفترض التقدير ويبحث عنه– ما ينعكس سلبا على الرواية، حيث يتمّ تقديم أعمال أقرب للمسودات التي تحتاج مراجعات تالية من صاحبها قبل الدفع بها للناشر، أو للجائزة، إذا كانت تقبل الأعمال المخطوطة.

وفي هذا السياق يكون الحرص من قبل بعضهم على تضخيم عدد الصفحات للإيحاء بأن الحجم الكبير يعكس مدى أهمية الرواية وثرائها.

كما يمكن النظر إلى الرواية –التي يتم تصديرها على أنها الجديدة– على أنها تمرّدت على الصيغ والقوالب الكلاسيكية وتحاول ابتكار أدواتها المختلفة، ويكون الخلط بين الأساليب والأفكار محاولة تجريبية للبحث عن الصيغة التي يتأمل، أو يحلم صاحبها، أنها قد تكون المثلى، أو تقترب من محاكاتها.

وفي الحالين الأوهام تقود كثيرا من الروائيين، وممن ألقوا بأنفسهم في هذا الحقل الشائك من دون دراية بفنياته واستراتيجياته، بشكل أكثر شراسة وقوة من الأحلام نفسها.

والأوهام تزداد خطورة على أصحابها حين يصدقون أنهم أصبحوا نجوما وقادة رأي في المجتمع، وأن ما سلكوه من مسلك، وما حققوه من شهرة وظهور، كان بناء على استحقاقات هم أهلها، وتصورات قاموا ببلورتها بطريقتهم السريعة الدعائية.

كانت الإنكليزية ماري شيلي (1797 – 1851) في الثامنة عشرة من عمرها حين بدأت بكتابة روايتها التي ما تزال تأثيراتها تتجدد في الكتابة الروائية منذ صدورها منذ أكثر من قرنين، ونشرت الطبعة الأولى منها دون إعلان هويتها عندما كانت في العشرين من عمرها. وظهر اسمها لأول مرة في الطبعة الثانية التي نشرت في فرنسا عام 1823.

لم تكن شيلي مقودة بالأوهام أو مسكونة بها، ولعلها لم تكن لتحلم من جهة أخرى بأن تخط بعملها مسارا روائيا جديدا، وقد يفترض أحدنا أن عمرها الصغير لم يكن قد كفل لها التراكم المنشود، ولكنها بالرغم من ذلك عوضت ذلك بفرادتها وتميّزها وابتكارها.

أبدعت شيلي في تصوير التشوّه، بعمل متكامل، وكان التشوّه إحدى وسائلها المساعدة لرصد لقطات وابتداع شخصيات تبقى حاضرة في الأذهان، ومتمتعة بالمعاصرة والتجدد عند كل قراءة أو ترجمة أو تجسيد فني أو درامي.

قد يثير ذلك نوعا من الإيحاء بالتناقض المضمر في ثنايا الحديث عن التراكم والخبرة والأوهام المفترضة، لكن من المفيد الإشارة إلى أن الإبداع لا يقيد، ويستحيل فرض مقاييس تحاصره، لأنه يتفجر ويخط لنفسه مسارات جديدة كل مرة، وهذا لا يتأتى لأي مغامر في هذا الميدان بسهولة ويسر.

> المفارقة المثيرة للسخرية أن الدعوة للتمرد والتجريب والتجديد من قبل بعضهم تكون جاهلة بما يفترض بأنهم يتمردون عليه

بالموازاة مع التراكم المعرفي هناك ما يتم تصديره تجاوزا على أنه تمرّد أدبي، وكأن التراكم يقتضي قطيعة معرفية، أو مقاطعة للسلف بحجة التجديد والتجريب، وبحالة تتناسب مع عبثية الطرح والمعالجة، بحيث يكون تسخيف السابق بمناسبة ومن دون مناسبة أداة ووسيلة للدعاية الشخصية السطحية.

والمفارقة المثيرة للسخرية والاستهزاء والرثاء معا، أن الدعوة للتمرد والتجريب والتجديد من قبل بعضهم تكون مصحوبة، أو غارقة بجهل الداعي؛ المدعي، لما يفترض بأنه يتمرّد عليه، والجاهل لتعريفه وتوصيفه بالشكل الأنسب، لأنه غير ملمّ بتاريخه، ويظن أن مزاعم القطيعة مع السابق تكفل له وضع اسمه في خانة المتمردين المجربين المجددين.. أي تجديد قد يتحقق أو ينجز والجهل بالقديم يعمي ويمضي بادعياء التجريب إلى بركة ضحلة يظنونها محيطا شاسعا!

يكمن الفرق في زاوية النظر، وفي الخبرة والتجربة، وليس بالثقة الزائفة التي تضلل المتمرّد عن جهل وتقنعه أنه العالم بأسرار الفن الروائي وألغازه.

ولا يخفى أنه كلما ازداد المرء علما وخبرة ومرانا وتمرسا ازداد تواضعا وتفهّما للواقع، وأدرك أنه ذرّة تائهة في هذا العالم الفسيح.

«شاعر وقصيدة» رحلة مع شعراء المجد الغابر

أبوظبي – صدر عن أكاديمية الشعر في لجنة إدارة البرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي كتاب "شاعر وقصيدة" من جزأين للأديب خليل عيلبوني في حجم من القطع المتوسط، يقع الجزء الأول في 355 صفحة والثاني في 336 صفحة، ويتناول الإصدار بجزئيه نماذج مميزة من شعراء أربع مراحل مفصلية مرّ بها الشعر العربي في تاريخه، مقسّمة إلى أربعة أبواب هي: باب الشعر الجاهلي وباب الشعر الإسلامي الأموي وباب الشعر العباسي وباب الشعر الأندلسي.

وما يميّز الكتاب هو انتقاؤه أبرز شعراء العربية في كل عصر فيقوم بالتعريف بالشاعر تعريفا وافيا، ثم يورد له قصيدة من أشهر قصائده، وترتبط بحادثة شهيرة وقعت له أو نظم بسببها القصيدة.

ومن الشعراء الذين اختارهم الكاتب في "باب الشعر الجاهلي" بالجزء الأول من الكتاب: امرؤ القيس وطرفة بن العبد والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة العبسي. بينما اختار من الشعر الإسلامي الأموي الشعراء حسّان بن ثابت وكعب بن زهير ومالك بن الريب وقيس بن الملوّح وكُثيّر عزة وليلى الأخيلية وجميل بثينة وعمر بن أبي ربيعة. أما الشعراء العباسيين فاختار منهم المتنبي والإمام الشافعي وديك الجن الحمصي وأبوفراس الحمداني وأبوالعلاء المعري.

وضم الجزء الثاني من الكتاب أمراء الشعر الأندلسي، ومنهم المعتمد بن عبّاد وابن زيدون وابن حزم الأندلسي وابن شهيد وابن هانئ وابن عبدربه وابن عمّار وابن حمديس وابن خفاجة ولسان الدين بن الخطيب.

وقد حرص الكاتب على بناء شخصية كل شاعر راصدا مساره الحياتي، اعتمادا على أشهر مصادر الأدب العربي القديمة، ومن أمثلة ذلك ما كتبه عن أبي العلاء المعري "الجزء الأول" بدءًا من طفولة الشاعر وفقدانه للبصر إلى المكانة العلمية لأسرته واعتكافه على نيل معارف عصره، ثم تطرّق الكاتب إلى دخول أبي العلاء مرحلة الفلسفة في حياته بتحريمه على نفسه أكل اللحم، وفي شعره بكتابته "اللزوميات" التي دلّت على وجود خلافات كبيرة بين هذا الشاعر وبين أهل عصره.

وعلى هذا الدين سار الكاتب في تقديم شاعر آخر من "الجزء الثاني" هو شاعر الأندلس ابن زيدون، ابن مدينة قرطبة الذي أغرم ببنت الخليفة المستكفي المعروفة باسم ولّادة، واصطفاه الحاكم ابن جوهر سفيرا له، وحيكت حوله المؤامرات والدسائس فذاق طعم فراق أحبته، ومن السجن أنشد أعذب القصائد التي شاع صيتها عبر العصور ومنها قصيدته الأشهر (أضحى التنائي بديلا عن تدانينا، وناب عن طيب لقيانا تجافينا)، ويورد الكاتب تفاصيل مهمة عن الخلاف الذي حدث بين الشاعر ومحبوبته ولّادة، وهو الخلاف الذي أنتج أعذب إبداعات ابن زيدون.

> الكتاب يختار شعراء من كل حقبة ليروي سيرهم ويقدم قصيدة لكل واحد منهم، مقدما رحلة شعرية شيقة

ولعل اللغة الوسطية التي اختارها الكاتب هي ما جعل هذا الكتاب محط اهتمام عامة القرّاء وليس فقط المتخصصين منهم، وذكر الدكتور إبراهيم أحمد ملحم الذي كتب مقدمة للكتاب "إن اللغة التي يُخاطب بها المؤلف القارئ هي لغة غير متعالية، بمعنى أن القارئ الجماهيري يستطيع أن يفهمها دون عناء". وتأتي الأهمية الجوهرية لهذا التأليف في كونه كتابا تثقيفيّا يعرّف الأجيال الجديدة بعمالقة الشعر العربي بأسلوب مبسّط فيه من التشويق ما فيه، وفيه من الأحداث التاريخية والاجتماعية التي عاشها الشعراء ما يثير الخيال والعجب، وبعد كل ذلك يضع الكاتب أجمل القصائد الخالدة بين أيدي القرّاء.

الإغراق في التجريب مثير للجدل (لوحة للفنان علي رضا درويش)